

خطب منبرية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل



8. كسب المجد والشّرف أعظم نعمة

04 شوّال 1379 هـ الموافق لـ 01 أفريل 1960م

الحمد لله الذي نستمدّ منه العون والتّأييد، ونسأله التّوفيق إلى أقوم طريق، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، يتصرّف في ملكه كما يريد، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله الّذي أرشد الخلق إلى طريق الدّين، وهداهم إلى الصّراط المستقيم، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين انطبعت نفوسهم على الخير فكانوا أوّل الملبّين لاعتناق الإسلام والعمل بما فيه للصّالح العامّ.

أمّا بعد: لعلّ من الأسباب المشجّعة لمجموعكم والسّير الدّائب في طريق نضالكم هو ذلكم التّصميم الّذي وطّدتم عليه عزائمكم، ورسمتم عليه خطّتكم في الوصول إلى ما تنشدونه من نيل مجدكم، وتحقيق رغائبكم.

وأنّ هذا الطريق الإيجابيّ هو الّذي سهّل عليكم كثيرًا من الصّعاب، وأزال من نفوسكم ذلكم التّردّد الذي كاد أن يصرفكم عن طريق العزّ والشّرف.

لكن لحسن نواياكم، ولطف الله بكم أن هداكم للإيمان الرّاسخ الّذي لا يمكن بسببه أن تصدّكم الأهواء، أو تؤثّر فيكم أنواع الكوارث؛ لأنّكم اتّبعتم سبيل الحقّ، وأردتم أن تخرجوا من الجهل إلى ميدان النّور، ومن الذّلّة إلى العزّة، ومن الضّعف إلى القوّة، ومن التّأخّر إلى التّقدّم؛ لأنّ كسب المجد والشّرف أعظم نعمة وأكبر منّة منّ الله عليكم في هذه الحياة؛ ولأنّ كلّ هذه العوارض مصيرها الزّوال والفناء، ولا يخلّدكم في تاريخ حياتكم إلّا ذلكم المبدأ الأسمى والنّور الّذي يشعّ على قلوبكم وأفكاركم، والّذي لا يزيدكم إلّا إيمانًا وثباتًا واستماتة في سبيل نصرة الحقّ وتأييده.

لكن الّذي يجب أن تضعوه دائمًا نصب أعينكم، وتستحضروه في فكركم هو قول الله -جلّ جلاله-: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)} آل عمران: 173 ـ 175.

فانظروا إلى هذا الإرشاد والتّوجيه الإلهيّ {الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} الفتح: 4.

فكيف يمكن أن يدبّ الضّعف في نفس المستحضر في قلبه وعقله مثل هذه الآيات الكريمة، أو يتسرّب إليه الخوف، أو يشكّ في مصيره ومطافه؟!

لكن إنّما يصيب الذّهول والفشل والرّعب قلب من انقطع حبله مع الله، واتّخذ الشّيطان وليًّا من دون الله، وهؤلاء الذين يبلغ بهم الأمر إلى درجة الشّكّ في الله والتبرّم من دينه، فقد قال فيهم -جلّ شأنه-: {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (15) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (16)} الحج: 15، 16.